المحتشدات والفرق الإدارية المختصة (S.A.S)
من خلال جريدة المجاهد 1962/1956

أ. عبد الوهاب أوسليم
جامعة ابن خلدون تيارت

مقـدمـة:

عرف نظام المحتشدات مع نهاية القرن التاسع عشر، وبالضبط خلال حرب البوير، التي شنها البريطانيون على الهولنديين في جنوب إفريقيا، ومع ابتكار الأسلاك الشائكة، أصبحت تكاليف تشييد السجون، والمعتقلات منخفضة عما كانت عليه.تم تطبيق هذا النوع من الاحتجاز على أسرى الحرب العالمية الأولى، وخلال التصدي الفاشي لمقاومة عمر المختار الباسلة في النصف الأول من القرن العشرين. واشتهر خاصة أثناء الحرب العالمية الثانية، حيث غصت محتشدات بولونيا وألمانيا، بالوافدين إليها من يهود أوروبا.

استهوى هذا النوع من الاحتجاز القوى الاستعمارية، التي رأت فيه فنا من فنون قهر الشعوب المقاومة، حيث استخدمته فرنسا هي أيضا، من أجل ضرب شوكة المقاومة السياسية الجزائرية. وخلال الثورة التحريرية، تم استخدام المحتشدات، والفرق الإدارية المختصة Section Administratif Spécialisée (S.A.S)، بشكل بشع من أجل إبعاد الجزائريين عن الثورة، وأصبح كل جزائري محل ارتياب، و شك.

لقد سجلت جريدة المجاهد لسان حال جبهة التحرير، والصادرة باللغة الفرنسية ،يوميات هؤلاء الجزائريين، من خلال أجزائها الثلاث،

وأعدادها الأربعة عشلر التي سخرتها للموضوع، وقد طرحنا مجموعة إشكاليات، سوف نجيب عنها من خلال مداخلتنا هذه.

- ما هي الأدوات الإعلامية التي استحدثتها الجريدة، عند تناولها لمسألة المحتشدات و فرق الـ S.AS ؟
- ما هو منظور المجاهد إلى المحتشدات و فرق الـS.A.S ؟
- ما هي المعايير التي أخذت، من أجل اختيار أماكن إنشاء هذه المحتشدات؟
- كم هو عدد الجزائريين، الذين شملهم هذا الاعتقال ؟
- ما هي التأثيرات الاجتماعية، والاقتصادية على الإنسان الجزائري؟

1- دراسة تحليلية في أدوات الخطاب الإعلامي لجريدة المجاهد، عند تناولها لمسألة المحتشدات، و فرق الـ S.A.S.

كانت جريدة المجاهد، ولا أحد يستطيع إنكار ذلك، جريدة دعائية بإمتياز، حاولت توظيف كل الأساليب المتاحة، من أجل الكشف عن معاناة الجزائري داخل المحتشدات، و فرق ال S.A.S.

- لم يبدأ الاهتمام الجدي بمسألة المحتشدات، و فرق الـ S.A.S من طرف الجريدة إلا مع عددها الرابع عشر، ولا نجد له أي أثر بعد العدد الواحد و الثمانين . تم فيه تناول الموضوع بشكل، متقطع، لا يوحي بالمتابعة، والاهتمام، خاصة بعد الأعداد الثلاثة الأولى.

• رغم أنه تم تسخير أربعة عشر عددا لهذا الموضوع، إلا أنه لم يكن دائما في مقدمة الأخبار، والصفحات التي سخرت له، كانت قليلة جدا، لا تتجاوز الصفحتين على الأكثر، قد تخلط بها أخبار أخرى باستثناء العدد 62 الذي خصص أربع صفحات، هي المساحة الإخبارية الأكبر على الإطلاق . (El Moudjahid de Guerre, N°62,31-03-1960: 41-44)

استعارت جريدة المجاهد، نفس المصطلحات التي كانت تستخدمها الإدارة الاستعمارية للدلالة على أسماء هذه المراكز، حيث استخدمت المجاهد مصطلح مراكز التجميع (Camps de Regroupement)، و قد ظهر هذا الأخير في غالبية مقالاتها.وفي المقابل لم يتم استخدام مصطلح مراكز الحشد (Camps de concentration) إلا في مناسبات قليلة جدا، أبرزها كان في مقال بعنوان Resistance de l'Algérie concentrationnaire (El Moudjahid de Guerre, N°72,01-11-1960 N° spéciale: 278-279)

وفي نظرنا أن تحاشي الإدارة الاستعمارية استخدام المصطلح الثاني، نابع عن خلفية تاريخية، ذاق مرارتها الشعب الفرنسي، وخلالها جرب مراكز الحشد النازية أثناء الحرب العالمية الثانية، وليس من المعقول أن يتحول الضحية بدوره إلى جلاد، و يستحسن الأمر على غيره. في حين يرفضه لبني جلدته.في المقابل استخدمت جريدة المجاهد، مصطلحا آخرا، يفيد التهكم، أكثر ما يفيد الإعلام، ألا و هو مصطلح مراكز الإيواء (Camps d''hebergement).

اعتمدت الجريدة، أساليب متنوعة في طرقها لهذا الموضوع، فتارة تأتي بشهادة الجزائريين الذين فروا من هذه المراكز، أو الذين انقضت محكومياتهم، إما على شكل اعترافات، أو حوارات صحفية (El Moudjahid de Guerre, N°14,15-12-1957: 225-226, N°18 ,15-02-58: 330-332 N°72, 01-11-1960: 278-279)

وتارة أخرى، تحاول تحليل الفكر الاستعماري، والغوص في الأهداف المرجوة من إنشاء مثل هذه المراكز، كما أبدت اهتماما بالغا بما كانت تنشره الجرائد الفرنسية، مثل **جريدة لوموند** « Le Monde » التي كانت ترى أن الوضع أصبح جد مأساوي داخل مراكز الحشد، و**لا في فرانسيس** « La vie Française » التي كانت لها قناعات مختلفة، حيث رأت أن تواجد الجزائريين داخل المحتشدات، وحياتهم بها قد أصبحت عادية، بحكم إفلاتهم من إرهاب جبهة التحرير (El : 244) Moudjahid de Guerre, N°40,24-04-1959

كما سردت شهادات رجال الدين المسيحيين، الذين زاروا هذه المراكز، من أمثال **القس جاك بومون** Jacques Beaumont، أو عبرت عن مواقف إنسانية، للكاردينال **فلتان** Feltin، **والقس بوقنر** Boegner (El Moudjahid de Guerre, N°56,27-11-1957: 586, N°62, 31-03-1960: 42) وقد تدرج تقارير رسمية دون تحليل، أو تمحيص، على شكل مقتطفات، تمنح القارئ انطباعا بأن كل ما يقرأه غاية في الدقة، و قد حدث هذا، عند عرض **بول دولوفريي** Paul Delouvrier (المفوض العام للحكومة الفرنسية في الجزائر) أمام الصحافة لتقرير رسمي حول مراكز الحشد في الجزائر، حيث اكتفت جريدة المجاهد، بأخذ

مقتطفات منه، واختيار عناوين مناسبة لها (El Moudjahid de Guerre, N°40, 24-04-1959: 244)

لكن عندما يتعلق الأمر بمسألة الأرقام، فإن جريدة المجاهد تصبح أكثر انتباها، و تحفظا، و تشكيكا في الأرقام الرسمية، حيث طعنت في الأرقام الصادرة عن الهيئة العسكرية الفرنسية الرسمية لسنة 1958؛ والتي هي هيئة الأركان، مستشهدة بما قاله موظفو المفوضية العامة "الذين يعترفون أن هذه الأرقام مستهان بها" (El Moudjahid de Guerre, N°62, 31-03-1960: 41)

وما تركيز الجريدة على ذلك،حسب رأينا، يعود إلى افتقادها للمعلومات الكافية حول الموضوع. يضاف إلى ذلك، بعض ما يمكن أن نطلق عليه تسمية "روبورتاجات قصيرة"، عن أشهر مراكز الحشد في الجزائر، مثل **قصر الطير (سطيف)**، **الجرف (المسيلة)**، **بول كازيل** Paul Cazelles **عين وسارة حاليا**، وإشارات خفيفة لبعضها الآخر، مثل الضاية Bossuet **(سيدي بلعباس)**، **وآفلو بالأغواط**.

واجمالا، لم تغط جريدة المجاهد مسألة مراكز الحشد، و فرق الـ S.A.S، تغطية متوازنة كتغطيتها مسألة التعذيب، أو نشاط الدبلوماسية الجزائرية، أو النشاط الطلابي والنقابي، أو العمليات التمشيطية للجيش الاستعماري الفرنسي.

2- المحتشدات و فرق الـ S.A.S من منظور المجاهد:

عندما نثير مسألة المحتشدات، أو الفرق الإدارية المتخصصة (S.A.S)، فإننا لا نتحدث عن مؤسسات غير متجانسة، بل مؤسسات مكملة لبعضها البعض، من حيث الوظيفة والهدف. لكنها تختلف من

حيث النمط، فإذا كانت فرق الـ S.A.S تنشط على مستوى محلي ضيق، فإن المحتشدات ستكون أكثر شمولية.

1.2 ماهي المعايير التي أخذ بها، من أجل إنشائها؟

ترى جريدة المجاهد أن الاستعمار الفرنسي قد أخذ في الحسبان جميع الظروف المناخية، والجغرافية، والإقتصادية، الملائمة لأداء أفضل لهذه المحتشدات. حيث كتبت الجريدة عن سبب اختيار مركز عين وسارة"إن قساوة المناخ، وحزن المكان، كانت على ما يبدو المعايير الجازمة، التي دفعت بالسلطات الاستعمارية لاختيار هذا المكان من أجل فتح مركز إعتقالي" (El Moudjahid de Guerre, N°14,15-12-1957: 225). تؤكد جريدة المجاهد أن المحتشدات قد تشترك في أمرين هامين، الموقع الجغرافي، والاستراتيجي، كونها (المحتشدات) تقع على سفوح السلاسل الجبلية، بالقرب من محاور المواصلات (El Moudjahid de Guerre, N°62,31-03-1960: 43)، كما أن الحاجة الميدانية (تمشيط)، أو حماية هدف ما، تكون أسبابا حقيقية لتواجد مثل هذه المحتشدات (El Moudjahid de Guerre, N°81,04-06-1961: 495)

إن عدم مراعاة المحتشدات لإمكانيات الاستيعاب البشري لها، والمرافق المسخرة لنزلائها، فإن هذا لم يكن مرده عجز في الإمكانيات المالية فقط، وإنما الإمعان في إذلال الجزائريين. قد تم احتجاز هؤلاء داخل الأكواخ الخشبية، أو الطينية، أو الإسطبلات، أو الخيام، كما كان الحال في مركز عين وسارة، لكنها راعت الظروف الأمنية التي يجب توفيرها داخل المحتشد، حيث يتحول في الأخير إلى قلعة حصينة، يصبح فيها الجزائري مراقبا باستمرار.

وصفت جريدة المجاهد، مركز الجرف بالمسيلة قائلة "تبلغ مساحة المركز أربعة هكتارات، وهو محاط بشبكة من الأسلاك الشائكة، التي تم استكمالها فيما بعد، وتحرس ستة أبراج جوانبه خلال الليل تكسح الكاشفات الضوئية داخل وخارج المركز، وتقوم ثلاثة دبابات بدوريات متكررة، خاصة عند المبنى المخصص لحراسنا العسكريين" (El Moudjahid de Guerre, N°18, 15-02-1958: 330)، على الرغم من أن المحتشدات كانت تتشابه، كونها مكان يحشد فيه الجزائريون، إلا أنها تختلف من حيث شكل بنائها وتنظيمها، وأحسن مثال على هذا التناقض محتشد الضاية بسيدي بلعباس (El Moudjahid de Guerre, N°72, 01-11-1960: 278)

2.2 كم هو عدد الجزائريين الذين مروا بمثل هذه المراكز ؟

تابعت جريدة المجاهد، تصريحات المسؤولين الفرنسيين العسكريين منهم والسياسيين، حول أعداد الجزائريين المتواجدين داخل المحتشدات، وأفضت تصريحاتهم، التي تحفظت عليها الجريدة، أن الأمر يخص 2,1م نسمة كحد أقصى، ما كان يعادل آنذاك ربع سكان الجزائر (El Moudjahid de Guerre, N°81, 04-06-1961: 496). لا تذكر المجاهد، أعداد الجزائريين الذين تواجدوا داخل الفرق الإدارية المختصة، ولا تشير إليها إلا من بعيد، وإن كان تعداد هذه الأخيرة قد بلغ 400 وحدة (HORNE , A. 1980 : 113)

يجب انتظار العدد 41 من الجريدة، حتى نحصل على الأرقام الأولى، حيث يشير الرقم إلي مليون نسمة، مشيرة إليه على أنه تقدير

فرنسي، دون أن تنسب هذا الأخير إلى مسؤول (El Moudjahid de Guerre, N°41,10-05-1959: 261)

ما يلاحظ على الأرقام التي أوردتها جريدة المجاهد هو عدم الدقة، وطابع التشكيك في الأرقام الرسمية، فقد أعلنت سلفا أن تعدادهم قد تزايد عن الرقم السابق بنسبة 30% نقلا عن **القس بومون** Beaumont، ثم عادت في النهاية، وأعطت رقما آخرا، هو 2 مليون نسمة على الأقل، رغم أن بول دولوفريي نفسه كان قد أعلن عن 1.250.000 **ن** (El Moudjahid de Guerre, N°56,27-11-1959**:** 586, N°63,25-04-1960: 73)، دون أن يكون للأرقام التي تسيقها أي مصدر رسمي أو غير رسمي.

وعلينا انتظار آخر عدد من المجاهد لنجد كشفا مفصلا لعدد المحتجزين من 1958 وحتى ماي 1961، إذ تنوعت فيه مصادر الخبر في هيئات عسكرية وسياسية، وشخصيات سياسية، وصحف فرنسية، حيث تم تقدير عددهم في ماي 1961، بـ 2.075256 محتجزين داخل 3425 مركزا، وأن عدد الذين استفادوا من الإفراج كان يقدر عددهم بـ 950,000 ن (El Moudjahid de Guerre, N°81,04-06-1961: 496)

2.3 إلى ماذا كانت تهدف هذه المحتشدات؟

كانت تعتقد الإدارة الاستعمارية أن ميزان القوى في حربها ضد جبهة التحرير الوطني سيؤول لمن تكون له السيطرة على الجماهير الجزائرية في البوادي، والأرياف. إن إنشاء هذه المحتشدات والفرق الإدارية المختصة ينم عن حالة الريبة من طرف الإدارة الاستعمارية في ولاء الجماهير لها . لهذا فإن ضباط الفرق الإدارية المختصة وقادة المحتشدات

في أغلبهم كانوا يرون أن الجماهير التي تحت مراقبتهم المباشرة في المحتشدات لا تسبب لهما الإزعاج، كما تسببه الجماهير الأخرى البعيدة عن مراقبتهم (El Moudjahid de Guerre, N°40,24-04-1959: 244)

وكان الهدف المباشر هو قطع أي اتصال ما بين هذه الجماهير، وجيش التحرير من أجل إنهاكه، وقطع قواعد الإمدادات عليه، بالإضافة إلى التظاهر بتقديم الحماية للجماهير، وتحسين شروط حياتها بهدف تسهيل الاندماج فيها، وتحقيق بعض المآرب التي لا تقل أهمية عن عزل جيش التحرير الوطني. حيث كتبت جريدة المجاهد عن الأهداف الأخرى الميدانية للمحتشدات "الحصول على المعلومات وتشكيل الحركة، وجماعات الدفاع الذاتي" (El Moudjahid de Guerre, N°62, 31-03-1960: 42)

وكان الاستعمار حسب جريدة المجاهد، يخطط في حالة فشله في قمع الثورة عسكريا تقسيم الجزائر، عندما يصبح في مقدور الجزائريين الإدلاء بأصواتهم في أي حق لتقرير المصير، وتصبح عندها المحتشدات وسيلة ناجعة للتأثير على نتائج الانتخابات من خلال الضغط على هذه الجماهير، وإجبارها على الاقتراع في أي إنتخاب (El Moudjahid de Guerre, N°62,31-03-1960: 42)

3- التأثيرات الاجتماعية والاقتصادية للمحتشدات وفرق الـ S.A.S:

يلمس الإنسان الجزائري مآسي هذه المحتشدات لحظة دخوله إليها، وتبقى بعض أثارها الحسية والنفسية ملازمة له حتى بعد مغادرته لها. رصدت جريدة المجاهد، أغلب هذه الحقائق من خلال تقارير رسمية، أو شهادات للضحايا.

1.3 التأثيرات الاجتماعية:

عندما لم يكن يساق الجزائري إلى المحتشد كرها، تحاول الإدارة استخدام طريقة الإغراء .حيث تورد المجاهد أن أحد مسؤولي الـ S.A.S خاطب القرويين قائلا"المساكن التي نقوم ببنائها بالقرب من الـS.A.S ، نبنيها من أجلكم، تعالوا للإقامة بها، تستطيعون النوم فيها بكل بهدوء، الجيش الفرنسي كريم، وسوف يطعمكم أنتم وأولادكم." (El Moudjahid de Guerre, N°76, 05-01-1961: 377)

لكن بمجرد ولوج الجزائري إليها يصطدم بالأمر الواقع، تنفذ عليه أحكام بالأعمال الشاقة، تبدأ من ساعات الصباح وحتى المساء، يتم فيها استغلالهم في عمليات الصيانة والنقل وتكسير الحجارة، واستخدام أدوات البناء تحت شمس حارقة (El Moudjahid de Guerre, N°14, 15-12-1957: 226)

ولا يسلم الجزائري رغم ذلك من سوء المعاملة والإهانة المتعمدة، التي قد تأخذ شكل إجبارية التحية للعلم الفرنسي ثلاث مرات في اليوم، حتى ولو كان المحتجز في حالة مرض شديد، والوقوف ساعات طويلة أمام هذا الأخير. وهذا ما تطالعنا به شهادات ضحايا محتشد الجرف بالمسيلة.(El Moudjahid de Guerre, N°18, 15-02-1958: 331)

ومع تنامي الجهد المبذول، وارتفاع عدد الجزائريين داخل المحتشدات بفعل حرق المداشر، يتحول هذا العدد إلى عبئ حقيقي على الإدارة الاستعمارية؛ والتي ستواجه عراقيل حقيقية في حفظ الصحة وتوفير الطعام، ويعترف تقرير فرنسي رسمي في هذا الشأن بغياب كلي للتدابير

التي من شأنها منع السكان من الموت جوعا (El Moudjahid de Guerre, N°41, 10-05-1959: 261)

لقد تم فتح أبواب المحتشدات لكـــافة الجزائريين من نساء، ورجـــال وشيوخ وأطفال، ومثلت هذه الأخيرة أغلبية المتواجدين داخل المحتشد. وذكر تقرير فرنسي رسمي أن ما تمثله نسبة الأطفال 900 طفلا مقابل 1200 نزيلا من غير الأطفال (El Moudjahid de Guerre, N°40, 24-04-1959: 244) ، وبما أن هذه الفئات أقل مقاومة للمرض والجوع، فإنها دفعت فاتورة باهضة من طفولتها وحياتها.

وأصبحت حياتها داخل المحتشد موتا بطيئا حيث ازدادت نسبة الوفيات في صفوفها، بعد مرحلة الفطام، أي بعد سن الثالثة، وأصبحت من القواعد الثابتة داخل المحتشد العثور على ضحايا من الأطفال مع بزوغ فجر كل يوم ويستعرض القس "جاك بومون" Jacques Beaumont ملاحظاته لدى زيارته المتعددة لهذه المراكز في خريف 1959، قائلا"لقد رأيت خمسة أطفال داخل مركز، كانوا يموتون بكل بساطة من الجوع ... أطفال كنا نرى عظمة الساق (TIBIA)، وقصبتها (Péroné)، بارزة تحت الجلد، أطفال مصابين بكساح كامل وبحمى الأمعاء، كانوا يرتعدون من الحمى،نائمين على الأرض بدون أغطية.." (El Moudjahid de Guerre, N°56, 27-11-1959: 586)، وتذكر جريدة المجاهد بأنه بسبب قلة الدواء، ومنع العجائز من البحث عن الأعشاب الطبية قد توفي أكثر من عشرين طفلا بسبب وباء الحصبة (El Moudjahid de Guerre, N°76, 05-01-1961: 378)

لقد شكلت وفيات الأطفال نقصا ديمغرافيا كبيرا للجزائر حتى بعد حصولها على السيادة، بل لعدة سنوات بعد ذلك. استخدم العدو الفرنسي الغذاء داخل المحتشدات كسلاح من أجل ضرب معنويات الشعب الجزائري، والإمعان في إهانته وإخضاعه لسياسته من خلال التحكم في كمية الغذاء الموفرة لهم. حيت تذكر بعض الشهادات أنه في إحدى الأيام وزع رئيس فرقة الـ S.A.S إحدى عشر كيلوغراما من الشعير غير المطحون؛ وهي حصة الشخص البالغ لشهر واحد. كما تم توزيع ألف فرنك فرنسي لكل عائلة، هي حصتها خلال الثلاثية (El Moudjahid de Guerre, N°76, 05-01-1961: 378).

وفي محتشدات أخرى كمحتشد الجرف الذي لا يبعد إلا بـ 17 كلم عن المسيلة، أين كان الطعام يجهز مباشرة للجزائريين، أوردت المجاهد شهادة لأحد ضحاياه قائلا:"كان الطعام يقدم في أواني قد أكلها الصدأ، وبكمية غير معتبرة، شيء يشبه المرق، بالإضافة إلي 150 غ من الخبز، وفي المساء كرية من التمر المهروس، حبة أو حبتان من الطماطم، وحبة بصل"(El Moudjahid de Guerre, N°18, 15-02-1958: 331). هذه الوجبة الضعيفة لن تضمن لهؤلاء استرجاع قواهم لمواجهة يوم آخر من السخرة، و لن تقي أجسادهم المرض.

تزداد معاناة الجزائريين بسبب شح المياه، خاصة في فصل الصيف، أين يكثر الطلب عليه، وتذكر شهادة أحد نزلاء محتشد **عين وسارة** Paul-Cazelles أن السلطات العسكرية كانت توزع ما كميته 200 **لترا** أسبوعيا، هي حصة 30 إلى 60 شخصا داخل المحتشد (El Moudjahid de Guerre, N°14, 15-12-1957: 226).

وحتى لا ينتفض الجزائريون في المحتشد بسبب أساليب الاستعمار اللا إنسانية، ويفكروا في العصيان، أو المقاومة، كان يحتفظ داخل المحتشد بجو من الترهيب والنظام العسكري، فكثيرا ما كان يلجأ إلى العقاب الجسدي والنفسي من خلال دفن المعاقب داخل التراب، حيث يغطى كل جسمه إلا رأسه، وهو في حالة وقوف لساعات طويلة، ما كان يعرف آنذاك بعقوبة "اللحد" (El Moudjahid de Guerre, N°14, 15-12-1957: 226).

كما كان تستخدم الحرب البسيكولوجية المعتمدة على تسميم أفكار هؤلاء النزلاء من خلال إجبارهم على الاستماع إلى خطب تعدها عناصر فرنسية مدربة تدور مواضيعها حول استسلام الثوار بالمئات يوميا، وانتهاء الثورة واختناق جبهة التحرير الوطني، ويرغمون النزلاء فيما بعد على نشر هذه الأفكار بين زملائهم داخل الغرف (El Moudjahid de Guerre, N°50, 14-09-1959: 261)

ولترسيخ فكرة أن فرنسا هي التي تقوم بحماية الجزائريين، وما قد يجنيه هذا الأخير من منافع، كان بعض قادة الفرق الإدارية المختصة يوزعون نشريات على الجزائريين، تمثل مجموعة من العمال، وهم يشيدون المنازل، وبداخلها عائلة إحدى الفلاحين (El Moudjahid de Guerre, N°76, 05-01-1961: 377). نتبن من خلال الظروف الاجتماعية واللا إنسانية لهؤلاء المحتجزين أن الأساليب التي مورست ضدهم لا تمت بصلة لا من قريب ولا من بعيد لما كان تروج له فرنسا من حماية للجزائريين من إرهاب الثوار.

2.3 التأثيرات الاقتصادية:

لم يسلم هذا الجانب أيضا من بصمات الاستعمار الاستغلالية، وتعرض الجزائريون في الأرياف والبوادي إلى سياسة تعقبت موارد رزقهم الفلاحية. كان أولها تغيير ملامح البنية الاقتصادية في الجزائر، وتناقص عدد الفلاحين والمرتبطين بالأرض. ذلك أن جريدة المجاهد ذكرت أن الجزائر"كانت تضم سنة 1954 6400.000 جزائري ريفي، من ضمن 8500.000 من الجزائريين (El Moudjahid de Guerre, N°62, 31- 03-1960: 43)، وهذا ما يعني أن الإحصائيات قد تغيرت، فأصبحوا إما مهاجرين، أو غادروا أراضيهم، أو هم قيد الاحتجاز داخل المحتشدات فأصبح من المستحيل عليهم ممارسة حرفتهم، وحرموا حق اصطحاب مواشيهم معهم.

وبسبب الفاقة والحاجة إلى العمل وقعوا تحت ضغط قادة المراكز، وكبار الإقطاعيين الفرنسيين، هؤلاء الذين استفادوا من تواجد الجزائريين داخل المحتشدات، فجعلوا منهم أيدي عاملة تشق الطرقات، وتعمل بشكل موسمي، ويثري عملها الكولونياليين الكبار الذين سيطروا على أراضي المتيجة والقطاع الوهراني المشهورة بمنتجات الأشجار المثمرة (El Moudjahid de Guerre, N°81, 04-06-1961: 495).

وأصبحت حالة هؤلاء بائسة لدرجة أصبح معها البحث عن عمل يدر راتبا شهريا على صاحبه أهم من نوعية العمل نفسه، حيث يذكر القس "جاك بومون" أن ستة عشر جزائريا انضموا إلى صفوف "الحركة" من أجل الحصول على راتب شهري (El Moudjahid de Guerre, N°56, 27-11-1959: 586)

يستعرض تقرير فرنسي رسمي صادر عن المفوضية العامة للجزائر علاقة الفلاح الجزائري بأرضه بعد تعرضه إلى الاحتجاز داخل المحتشدات". في الحالات التي (ما بين 10 و15% تم فيها تجميع السكان على أراضيهم، أو ليس ببعيد عنها يستطيعون زراعتها، والحصول على بعض المحاصيل الهزيلة، ... لا ينقص دخل المقيم إلا بالربع، وفي بعض الأحيان بالثلث ... عندما يكون التجميع بعيدا عن الأراضي ما بين 5 و30 كلم و هي حالة مألوفة. يذهب الفلاحون تحت الحماية من أجل زراعتها مرة، وفي بعض الأحيان ثلاثة أيام في الأسبوع... وفي الأخير فإننا نقدر ما يقارب الـ 200 ,000 عدد الذي تم تجميعهم والذين لم يعد لهم القدرة على الولوج إلى أراضيهم السابقة، إما لأنها بعيدة جدا، أو موجودة داخل مناطق محرمة" (El Moudjahid de Guerre, N°40, 24-04-1959: 244)

إنه من الصعب بمكان أن تقتنع بما جاء في هذا التقرير، لأنه يبدو تقريرا متفائلا جدا تكذبه الوفيات اليومية للأطفال، وسوء المعيشة داخل المحتشدات، فكيف يعقل للفلاح الجزائري أن يخدم أرضه لبعض الوقت ويحصل على إنتاج، في الوقت الذي لا يستطيع طوال الأسبوع الإيفاء بجميع حقوقها؟.

مع العلم أن هذا الفلاح سوف يشتغل داخل المحتشدات وخارجها أعمال السخرة، و أعمال موسمية وأعمال صيانة، في أغلبها تحتاج إلى الوقت والجهد.

كتبت جريدة المجاهد سنة 1959 قائلة أن التأثيرات الأولى للمحتشدات على الفلاحة الجزائرية "تمثلت في إهمال الأراضي البور التي

لم يتم زراعتها في بعض الأحيان لخمس سنوات" (El Moudjahid de Guerre, N°62, 31-03-1960: 43)

أما التأثيرات المباشرة على الفلاح الجزائري فيمكن قراءتها على مستويات عدة، فالجزائري الذي لم يعد منتجا، قد فقد مكانته الاجتماعية والاقتصادية. حيث سجل التقرير الفرنسي الرسمي "تكمن أهمية المخبأ، أو المطمورة، كونها في الوقت ذاته ضمانا، ورمزا أساسيا للهيبة الاجتماعية لرب العائلة، إن إهمال أو مصادرة المطمورة هو عنوان يؤكد بأن رب العائلة لم يعد باستطاعته إعالة ذويه" (El Moudjahid de Guerre, N°40, 24-04-1959: 244)

أضف إلى ذلك أن الجزائري الذي فقد مصدر قوته كفلاح قد فقد معه كرامته كشخص، لأنه من الآن فصاعدا، وبحكم الزمن الذي سوف يقضيه داخل المحتشد "أصبح في حالة تبعية للقيادة ورؤساء الـ S.A.S، ولم يعد لأي مبادرة أن تنتظر منه" (El Moudjahid de Guerre, N°40, 24-04-1959: 244)

وعلى المستوى الاقتصادي العام لاحظت جريدة المجاهد أن نظام المحتشدات وفرق الـ S.A.S قد أخلت بالقطاعات الاقتصادية، تعرض فيها القطاع الأول إلى إهمال عمدي، خاصة ذلك الذي يديره الجزائريون. "ولم يؤد هذا إلا إلى مضاعفة التخلف خلال خمس سنوات، هذا الأخير الذي أسس له الاستعمار منذ 124 سنة" (El Moudjahid de Guerre, N°62, 31-03-1960: 43)

ووصلت جريدة المجاهد إلى قناعة مفادها أن الاقتصاد الجزائري لن يسير باتجاه التقدم والتطور بتحرر الجزائريين من مراكز الحشد، وفرق الـ S.A.S مباشرة. بل أن آثاره السلبية على الاقتصاد،

كما على المجتمع، ستبقى لسنوات عديدة يذوق فيها الجزائري مرارة الفقر والعوز.

خـاتـمـة:

شكلت المحتشدات، وفرق الـ S.A.S أسوء مثال للاعتقال الإداري للجزائريين، فمدة محكومية الجزائري فضفاضة، وغير محدودة بزمن. لقد شهد فيها الجزائري البسيط، عن كثب فضاعة الاستعمار، وزيف ادعائه، وأسفرت المحتشدات، وفرق الـS.A.S عن الوجه الحقيقي للاستعمار، الذي كان يدعي حماية الأهالي.

فحرمهم بذلك حق الحرية، قبل أن يحرمهم حق الحياة، والعمل الشريف، وقضى على آلاف منهم، وجعل آلافا أخرى تحت مستوى خط الفقر بعد أن كانت تضمن غذاءها وقوتها، ولم يثن هذا الجزائريين عن مقاومة هذه السياسة، تارة بالإضراب عن تناول الطعام، وتارة بتشكيل خلايا جبهة التحرير الوطني، و تارة أخرى عندما تتوفر الظروف لذلك، الهرب من هذه المحتشدات والالتحاق بالثورة.

إن بقاء الروح العدوانية ضد الاستعمار في نفوس الجزائريين، والإفلات من حربه البسيكولوجية كانت أحسن وجه لمقاومة سياسة المحتشدات.

المصادر و المراجع:

1- El moudjahid de Guerre, TOME 1:
- N°14, 15-12-1957.
- N°18, 15-02-58.
- N°56, 27-11-1957.

2- El moudjahid de Guerre, TOME 2:
- N°40,24-04-1959.
- N°41,10-05-1959.
- N°50,14-09-1959.
3- El moudjahid de Guerre, TOME 3:
- N°62,31-03-1960.
- N°63,25-04-1960.
- N°72,01-11-1960 N° spéciale.
- N°76,05-01-1961.
- N°81,04-06-1961.
4- HORNE, Alistair, 1980, L'histoire de la guerre d'Algérie, Albin Michel.